"الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية"

د/علي عبد الرحمن آل باعلوي
الأستاذ المشارك بقسم الأصول والإدارة التربوية
جامعة تعز – كلية التربية

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة :ويشتمل على :

أولاً : المقدمة والأهمية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم نلقاه .

أمَّا بعد:فإن روّاد التربية الإسلامية الأوائل،وكل من تتلمذ عليهم:لم ينطلقوا في توجيهاتهم وجمع معلوماتهم،وفهمهم على الأهواء،أو الآراء في معزلٍ عن مصدري التربية الإسلامية:القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،وإنما اعتمدوا على المصدر الرباني"الوحي"في التلقي،والفهم والمعالجة؛من أجل تحقيق المقاصد المهمة التي جاء بها الإسلام،وذلك التزاماً بقول الله سبحانه وتعالى{وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[١]،وقد اشتمل"القرآن الكريم،والسنة النبوية"على كل ما يسعد الفرد ويصلحه،وما يصلح حياته،وينظم شئونه،ويبعده عن العوائق،والمخاطر، والمحذورات والتجاوزات{مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}[٢]،فالإسلام كتاباً وسنة يدعو إلى الفهم السديد،وإلى التفكر والتأمل الصحيح،يقول سبحانه وتعالى{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}[٣]،ومن المسلم به:أن للقرآن الكريم تأثيراً عظيماً على مستمعه،ومتدبره، فيربيه على ما فيه سعادة الدنيا والآخرة،فهو مؤثر في القلوب وفي النفوس"فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع:خلص له إلى القلب من لذة وحلاوة"[٤]،وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية .

ولهذا يتعين على المسلمين أفراداً وجماعات:الاعتماد التام على القرآن الكريم،والسنة النبوية في تلقي العلوم والمعارف، وعلى التزام منهج المعالجة فيهما، لكل ما يحدث من خلل أو خلاف[٥]،فالله سبحانه وتعالى هو الخالق العلم بخفايا الإنسان ومواطن ضعفه، وقوته، ووسائل معالجته{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٦]،وفي هذا توجيه لكل مربٍ وداعية، وحامل فكر إلى التزام منهج

١- سورة : آل عمران، آية[٧٩] .
٢- سورة :الأنعام ،آية[٣٨] .
٣- سورة : النساء ،آية[٨٢] .
٤- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:الإتقان في علوم القرآن،ط د.ت،دار الكتب العلمية،بيروت،ج٢ص١٢١ .
٥- انظر،عبد القادر عوّاد:آداب الاختلاف في الإسلام،ط١٤١٣هـ،دار الجيل،بيروت ، ص٨٤ .
٦- سورة : الملك ،آية[١٤] .

الوسطية في كل أموره، وفي كل ما يصدر عنه،وجعل هذا الالتزام من ألزم الصفات التي ينبغي الاتصاف بها، وذلك في قوله سبحانه وتعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[٧]،وما النزاعات، والصدامات، والتجاوزات والتفسيق، والتكفير، والتدمير، والتخريب الذي يعاني منه المسلمون اليوم؛إلاّ إفرازاً لعدم التزام منهج دلالات الوسطية والاعتدال الذي وجه القرآن الكريم إلى التزامه[٨]،وكذلك السنة النبوية،وهذا الإفراز الخطير يحتاج إلى دراسة علمية مركزة حول مفهوم دلالات الوسطية في القرآن الكريم،وفي السنة النبوية، والتعرف على أقوال الرواد الأوائل من المفسرين عن دلالات هذه الوسطية، ثم الممارسات التربوية لما فهموه من هذه الأدلة، لمواجهة تلك المعاناة، ومعالجة كل إفرازات تجاوز منهج الوسطية، ولما لم أجد دراسة علمية في هذا المجال،تولدت لدى الباحث الرغبة في القيام بها،بعنوان "الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في القرآن الكريم،والسنة النبوية" .

ثانياً : مشكلة الدراسة :

من خلال ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

ويتفرع عنه الأسئلة التالية :

س١ :ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في التربية الروحية؟

س٢ :ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التعليم والبناء المعرفي المعلوماتي؟

س٣ :ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في المجال التعبدي؟

س٤ :ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التربية الخلقية والسلوكية ؟

س٥ :ما الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالا الوسطية في مجال التربية الجسمية؟

ثالثاً: أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة إلى :

١- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التربية الروحية.

٣- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التعليم والبناء المعرفي والمعلوماتي .

---

[٧]- سورة : البقرة ، آية[١٤٣] .

[٨]- انظر، محمد عابد عاشور: منهج القرآن في التربية،ط١٤١١هـ،دار الفكر،بيروت،ص١١٣ .

٤- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في المجال التعبدي .

٥- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التربية الخلقية .

٦- التعرف على الممارسة التربوية السليمة لفهم دلالات الوسطية في مجال التربية الجسمية .

رابعاً : حدود الدراسة :

لما كانت دلالات الوسطية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية في كل المجالات والميادين: اقتصرت هذه الدراسة على دلالات الوسطية في المجال التربوي .

خامساً: منهج الدراسة :

استخدم الباحث في هذه الدراسة: المنهج الاستنباطي، فهو الذي يبذل فيه أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة[٩]،وقد دوِّنت في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية جميع القواعد والمبادئ، والأساليب، وأصبح من الميسور على الباحث: استنباطها في هذين المصدرين الأساسيين، ثم تجميعها، والتأليف بينها على نسقٍ مستوحى من طبيعة الإسلام، ومن الأسلوب التربوي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[١٠]،فهو الأنسب لاستخراج معاني الوسطية في القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستنباط دلالاتها المختلفة من مصادر التفسير بالمأثور، ومن أجل الوصول إلى معرفة الممارسة التربوية السليمة التي قام بها الروّاد الأوائل لفهم دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .

سادساً : مصطلحات الدراسة :

١- الممارسة التربوية: كل ما صدر من المربين المسلمين عبر العصور والأماكن المختلفة[١١]،ويراد بها إجرائياً كل الممارسات التي قام بها المربون من خلال فهمهم لدلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- السليمة: يراد بها في هذه الدراسة: الممارسة القائمة على الاعتماد على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من دلالات الوسطية، وعدم تجاوز منهجها .

٣- الفهم: هو تصور المعنى من لفظ المخاطب[١٢]،ويراد به إجرائياً ما تصوره المربون والروّاد الأوائل من دلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية .

٩- عبد الرحمن صالح عبد الله،وحلمي فودة: المرشد في كتابة البحوث التربوية،ط١٤٠٨هـ،مكتبة المنار،مكة المكرمة،ص٤٣

١٠- عبد الرحمن نحلاوي:التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة،ط د.ت،المكتب الإسلامي،بيروت،ص٢٩ .

١١- فتحي علي إبراهيم يونس:التربية الإسلامية،دار الكتاب العربي،بيروت،ص٧٢١ .

١٢- علي بن محمد الجرجاني : التعريفات،تحقيق/ إبراهيم الأبياري، ط١٤١٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٣٩-١٤٠.

٤- الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر[١٣]،والمراد بها في هذه الدراسة: العلم بما دلت عليه الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية في المجال التربوي .

٥- الوسطية:يراد بها:الاستقامة،والتوسط،والإنصاف،والتعقل في كل الأمور[١٤]،والمراد بها في هذه الدراسة:الفهم الدقيق المتزن لدلالات الوسطية في القرآن الكريم،وفي السنة النبوية،في المجال الروحي،والتعليمي،والمعرفي،والخلقي والجسدي .

المبحث الثاني : من دلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية حول مجالات التربية المختلفة :

أولاً : الوسطية في مجال التربية الروحية :

من ينظر بتأمل في القرآن الكريم سيجد دلالات الوسطية في المجال الروحي بكل وضوح وجلاء، يقول الله سبحانه وتعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[١٥] .

فالوسطية التي جعلها الله ميزة منهجية للأمة المحمدية في كل أمورهم،وفي الميادين والمجالات المختلفة ومنها: المجال الروحي ،تتضح من خلال فهم كبار المربين ورواد مدارس التفسير المختلفة،الوسطية في البناء الروحي، في ضوء هذه الآية:عدم الغلو، وعدم التقصير[١٦]، أو هي:وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنهما مذمومان في الدين[١٧]،ولتحقيق ممارسة هذا المفهوم في المجال الروحي: رغبت التربية الإسلامية في استخدام الأسلوب التربوي المفيد في هذا الجانب، وهو أسلوب الحكمة المشار إليها في قول الله سبحانه وتعالى{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[١٨] .

ومن ينظر في منهج المربين الأوائل في مجال التربية الروحية سيدرك أنهم ومن خلال فهمهم لدلالة الوسطية في القرآن الكريم: وسط في فرق الأمة، فهم وسط،من خلال فهمهم لدلالة الوسطية في القرآن الكريم، والسنة النبوية في التربية الروحية: وسط في الدعوة والتربية، وسط في باب الإخلاص بين المرائين، والملامية، فالمراؤن يعملون الصالحات بقصد رؤية الناس، وطلب مدحهم،

---

[١٣]- الجرجاني: التعريفات ، ص٢١٧ .
[١٤]- محمد بن مكرم بن منظور:لسان العرب،ط د.ت،دار صادر،بيروت،ج١١ص٤٣٠،وج١٢ص٤٤٧-٤٤٨ .
[١٥]- سورة : البقرة ، آية [١٤٣] .
[١٦]- ابن الجوزي:زاد المسير في علم التفسير،ط١٣٩٦هـ،دار الفكر العربي،القاهرة،ج١ ص١٣٤ .
[١٧]- نقلاً عن البغوي:معالم التزيل،ط١٣٨٢هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة،ج١ ص١٧٤ .
[١٨]- سورة : النحل ، آية[١٢٥] .

وثنائهم، وأمّا الملامية، فعلى النقيض من ذلك،فهم يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون: نحن متبعون في الباطن[١٩] .

ومن خلال فهمهم الدقيق لدلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية،في البناء الروحي: يعملون الطاعات،ابتغاء وجه الله تعالى،فإذا ألقى اللهُ لهم الثناء الحسن في قلوب الناس بذلك،فتلك عاجل بشرى المؤمن، فعن أبي ذر رضي الله عنه،عن النبي صلى الله عليه وسلم،أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير، ويحمده الناسُ عليه،فقال:((تلك عاجل بشرى المؤمن))[٢٠] .

ومما لاشك فيه:أن العناية بالتربية الروحية من الصفر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية، وأمر بالغ السهولة كذلك[٢١]،وهذا ما يمكن فهمه من قوله تعالى{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ}[٢٢]،ولذلك اهتم الروّاد الأوائل من المربين والمفسرين وكل حملة العلم الشريف بتربية الصغار على عقيدة التوحيد،من منطلق:استحباب الإسلام للتأذين في الأذن اليمنى،والإقامة في إذن الطفل اليسرى،ليسمع كلمات التكبير والتوحيد،وإعلان العبادة لله،وهو في أول عهده بالحياة، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة،ومنها ما جاء عن أبي رافع رضي الله عنه،أن النبي صلى الله عليه وسلم:"أذّن في أذن الحسن والحسين حين ولدا،وأمر به"[٢٣]،وقوله صلى الله عليه وسلم((افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلاّ الله،ولقنوهم عند الموت:لا إله إلاّ الله))[٢٤] .

وما ينبغي ملاحظته هنا:أن على المربي وكل حملة العلم الشريف:التزام منهج الوسطية في مجال التربية الروحية،أو البناء العقدي الذي استحقوا عليه الخيرية المشار إليها في قوله تعالى{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[٢٥]؛لأن"العقائد يتمثلها الطفل من البيئة،وعلى وجه الخصوص:من الشخص المفضل،ذي النفوذ،كالأب،ويرتضيها حقيقة مُسلماً بصحتها،لا يناقشها؛لأنه لا يشك في صحتها"[٢٦]،وعليه يمكن القول بأنه"يجب علينا:ألا نهمل تعليمه العقيدة الصحيحة:بالحكمة والموعظة

---

[١٩]- عبد الرحمن ابن الجوزي:تلبيس إبليس،ط١٣٨١هـ،دار العلم،بيروت،ص٤١٠،وابن تيمية:مجموع الفتاوي،ط د.ت،دار الإفتاء،الرياض،ج٣٥ص١٦٤،وابن القيم:مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين،ط د.ت،دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣ص١٧٧-١٧٨،وإغاثة اللهفان من مكايد الشيطان،ط١٣٥٣هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة،ج١ص١٨٧ .

[٢٠]- مسلم بن الحجاج القشيري: الصحيح، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي،ط١٣٧٥هـ،دار المعرفة،بيروت،ج٤ص٢٦٤٢،وأحمد بن حنبل : المسند،ط١٣٩٨هـ،دار الفكر،دمشق،ج٥ص١٥٦ .

[٢١]- محمد قطب:منهج التربية الإسلامية،ط د.ت،دار الشروق،القاهرة،ج٢ص١٦٢ .

[٢٢]- سورة : العلق ، آية[١-٢] .

[٢٣]- علي بن محمد المتقي:كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، ط د.ت، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،القاهرة،ج٦ص٤٣٣.

[٢٤]- علي المتقي : المصدر نفسه ، ج٦ ص٤٣٥ .

[٢٥]- سورة : آل عمران ، آية[١١٠] .

[٢٦]- عبد المنعم المليجي:تطور الشعور الديني عند الطفل،ط١٩٥٥م،دار المعارف،القاهرة،ص١٠٠ .

الحسنة"[٢٧]، وبمنهج الوسطية والاعتدال الذي فهمها الروّاد الأوائل من دلالات الوسطية في القرآن الكريم .

ثانياً : الوسطية في مجال التعليم والبناء المعرفي المعلوماتي :

من منطلق فهم دلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية:الوسطية في مجال التعليم والبناء المعرفي المعلوماتي،من خلال التوسط في تقديم المعلومات،والمعارف،والحقائق التي يتقبلها العقل الذي هو أساس الفكر، والتدبر،والتأمل،فلا إفراط في تقديمها،ولا تفريط في حجبها وحرمان العقل منها،وذلك إنطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[٢٨]،وإذا نظرنا في السيرة النبوية،وكيف كان يتعامل سيد البشرية صلى الله عليه وسلم،مع أصحابه في هذا المجال مع شدة حبهم له،وتعظيمهم إيّاه،وشوقهم الشديد إلى سماعه،ومع كل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعي منهج الوسطية في مراعاة الأوقات في تعليمهم،وتذكيرهم،ولم يكن يعلمهم كل يوم، مراعاة لقدراتهم العقلية،واستعداداتهم الاستعابية فهو العارف لمراد الله في دلالة الوسطية في البناء الفكري،فعن ابن مسعود رضي الله عنه،قال:"كان النبي صلى الله عليه وسلم،يتخولنا بالموعظة في الأيام؛كراهية السآمة علينا"[٢٩] .

يقول الإمام الخطابي في التعليق على هذا الحديث"المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل والتخول بالعهد"[٣٠] .

ونظرا لأهمية التوسط والاعتدال في تقديم المعلومات والمعارف المختلفة،نجد أن الإمام البخاري– يرحمه الله–قد صنف هذا الحديث تحت تراجم مختلفة من صحيحه،فمرة:باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة والعلم كي لا ينفروا[٣١]،ومرة:باب من جعل لأهل العلم أيامً معلومة[٣٢]،ومرة :باب الموعظة ساعة بعد ساعة[٣٣] .

ويعلق الحافظ ابن حجر العسقلاني–يرحمه الله–على حديث ابن مسعود بقوله:"وفيه رفق النبي صلى الله عليه وسلم،بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم،وتفهيمهم؛ليأخذوا عنه بنشاط،لا عن ضجر، ولا ملل،ويقتدى به في ذلك،فإن التّعليم بالتدرج أخف مؤنة،وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكدّ والمغالبة"[٣٤] .

---

[٢٧]- محمد أمين المصري: لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها،ط١٩٧٨م،دار الفكر،القاهرة،ص١٤٠ .
[٢٨]- سورة : البقرة، آية[٢٨٦] .
[٢٩]- البخاري: في العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم، يتخولنا بالموعظة والعلم كي لا ينفروا،ج١ص١٦٢.
[٣٠]- أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري،ج١١ص٣٢٨ .
[٣١]- كتاب العلم،ج١ص١٦٢ .
[٣٢]- كتاب العلم،ج١ ص١٦٣ .
[٣٣]- كتاب الديات،ج١١ص٣٢٨ .
[٣٤]- فتح الباري،ج١١ ص٣٢٨ .

وليس هذا في الموعظة والتعليم فحسب،بل الوسطية والاعتدال منهجه في الخطبة،فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه،قال"كنتُ أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،فكانت صلاته قصراً خطبته قصراً"[٣٥]،ويقول الإمام ملا علي القاري-يرحمه الله-والمراد بكونها قصراً"متوسطة بين الإفراط والتفريط من التقصير والتطويل"[٣٦] .

كما ينبغي ملاحظة حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم،على استخدام الوسطية والاعتدال في التعليم،أنه كان أشد حرصاً على استخدام مهارة التفهيم في كل ما يقدمه من علوم ومعارف عظيمة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها،"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم"[٣٧]،وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما،قال:"كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم:ترتيل أو ترسيل"[٣٨]،وعن عائشة رضي الله عنهما:"كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلاماً فصلاً،يفهمه كل من سمعه"[٣٩]،وعنها أيضاً"كان يتكلم بكلام يبينه فصل،يحفظه من جلس إليه"[٤٠]، وفي رواية عنها"أن النبي صلى الله عليه وسلم،كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه"[٤١]،فهو الأعرف بمراد الله بالوسطية،وما يقوم به هو الجانب التطبيقي لما جاء في القرآن الكريم،والمراد:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،لم يكن يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعضٍ؛لئلا يلتبس على المستمع[٤٢]،وما كان يُعجل في إرسال الحروف،بل يلبثُ فيها،ويتبينها تبيناً لذاتها من مخارجها وصفاتها وتمييزاً لحركاتها وسكناتها[٤٣]،فلو عد العاد كلماته،أو مفرداته،أو حروفه لأطاق ذلك،وبلغ أخرها،والمراد بذلك:المبالغة في الترتيل والتفهيم[٤٤] .

وتأكيداً لأهمية التفهيم لمتلقي المعلومات،مراعاة لمنهج الوسطية في مجال التعليم والبناء المعرفي المعلوماتي،وحماية للعقل من الأخطاء والتخبط في المعلومات والمعارف غير الدقيقة،رتب الله المسئولية على تقديم العلم والمعرفة،لأن الله منح الإنسان أدوات لتحصيل المعارف،وتقديمها للمستفيدين،وتحمله مسئولية الخروج عن هذا المنهج،وهو ما يفهم من قوله تعالى{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[٤٥]،ولذلك كان رسول الله صلى

---

[٣٥]- مسلم:في كتاب الجمعة،باب تخفيف الصلاة،والخطبة،ج٢ص٥٩١ .
[٣٦]- مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق/صدقي العطار، ط د.ت، المكتبة التجارية، مكة المكرمة،ج٢ص٤٩٨
[٣٧]- البخاري:في المناقب،باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم،ج٦ ص٥٦٧ .
[٣٨]- سليمان بن الأشعث السجستاني(أبو داود):السنن، ط١٣٩٥هـ،دار الحديث، دمشق، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، ج٣ص١٢٦ .
[٣٩]- أبو داود : السنن ، ج٣ ص١٢٦ .
[٤٠]- محمد بن عيسى الترمذي:السنن،ط١٤٠٥هـ،دار الريان،بيروت،ج٥ ص٨٥ .
[٤١]- البخاري:في المناقب،باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم،ج٦ص٥٦٧ .
[٤٢]- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري،ج٦ ص٥٧٨ .
[٤٣]- الملا علي القاري : مرقاة المفاتيح ، ج١٠ ص٨٧ .
[٤٤]- ابن حجر العسقلاني:المصدر نفسه ، ج٦ ص٥٧٨ .
[٤٥]- سورة : الإسراء، آية[٣٦] .

الله عليه وسلم،يستخدم وسائل لإيضاح المعلومات والمعارف التي يقدمها للصحابة الكرام،رضوان الله عليهم،فعن أنس بن مالك رضي الله عنه،قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم((هذا ابن آدم وهذا أجله،ووضع يده عند قفاه،ثم بسطها،فقال:وثم أمله،وثم أمله))[٤٦]،وعن عبد الله رضي الله عنه،قال:خط النبي صلى الله عليه وسلم،خطاً مربعاً،وخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه،وخطّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط،وقال((هذا الإنسان،وهذا أجله محيط به،أو قد أحاط به،وهذا الذي هو خارج أمله،وهذه الخطط الصغار الأعراض،فإن أخطأه هذا نهشه هذا،وإن أخطأه هذا نهشه هذا))[٤٧]،ففي هذا الحديث الشريف:استخدم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:الإشارات اللطيف؛لتنبيه المنغمسين في بحر الآمال،الغافلين عن اقتراب الآجال،على أن آجل الإنسان أقرب إليه من أمله[٤٨]، والتخطيط كان لأجل التعليم والتفهم ، وتقريباً للمعاني ؛ لأن التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس[٤٩]؛لأن عدم ضرب الأمثلة لتوضيح المعلومة وتصويب فهمها قد يؤدي إلى الفهم الناقص المتطرف الذي يتجاوز الوسطية في بناء الفكر السليم .

وحتى لا يحصل التخبط في العقل والتفكير،إذا تعددت الموارد أو الجهات التي تصدر منها المعلومات ينصحُ علماء المسلمين كل طالب علم،ومستفيد،ومتلقٍ:أن يكون معيار قبول المعلومات لديه والتسليم بصحتها وسلامتها:العرض على كتاب الله،وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،،والذي أكده قول الله سبحانه وتعالى{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}[٥٠]،وهذا هو منهج الوسطية في تلقي العلم والمعرفة،حتى لا يتعصب لصاحب المعلومة؛لأنه يميل إليه،ولا يرفضها إذا كان مصدرها شخص يختلف معه في المشرب الفكري حتى في الألفاظ أو المصطلحات المستخدمة يرون:أن الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة،ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها،فهذه ليس على أحدٍ أن يوافق من نفاها،أو أثبتها؛حتى يستفسر عن مراده،فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم،أقر به،وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول صلى الله عليه وسلم،أنكره،ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال:عبّر بغيرها،أو بين مراده بها،بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛فإن كثيراً من نزاع الناس:سببه ألفاظ مجملة مبتدعة،ومعانٍ مشتبهة[٥١] .

٤٦- الترمذي :في أبواب الزهد،باب ما جاء في قصر الأمل،ج٤ص٥١٦،وابن ماجه:في أبواب الزهد،باب الأمل والأجل،ج٢ ص٤٣٤،وأحمد في المسند،ج١ص٤٣٥، والبيهقي: السنن الكبرى،ج٦ص٣٤٣،والدارمي:السنن،ج١ص٦٠،والحاكم:المستدرك ج٢ص٢٣٩ .

٤٧- البخاري: في الرقاق ، باب في الأمل وطوله، ج١١ ص٢٣٥-٢٣٦ .

٤٨- انظر، الملا علي القاري : مرقاة المفاتيح،ج٩ ص١٢٨ .

٤٩- الملا علي القاري : مرقاة المفاتيح ، ج١ ص٤١١ .

٥٠- سورة : النساء ، آية[٥٩] .

٥١- مجموع الفتاوي : ج١٢ ص١١٤ .

ومنهج الوسطية في الموقف الصحيح من الألفاظ المجملة هو:التفصيل،فلا تنفي بإطلاق كما لا تثبت بإطلاق،وإنما يستفسر عن مقصود قائلها،فإن قصد معنى صحيحاً قُبل مع مراعاة التعبير عنه بألفاظ النصوص الشرعية،وإن قصد معنى فاسداً رُدّ .

وفي السياق نفسه يقول شيخ الإسلام ابن القيم:"اعلم أنّ في لسان القوم[٥٢]من الاستعارات،وإطلاق العام وإرادة الخاص ، وإطلاق اللفظ ، وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف"[٥٣] .

ولأهمية الوسطية في بناء الفكر بالمعلومات الصحيحة المناسبة للقدرات العقلية لدى المتعلمين والمتلقين،يقول الخليفة الراشد،علي بن أبي طالب،رضي الله عنه"حدثوا الناس بما يعرفون،أتحبون أن يُكذب الله ورسوله"[٥٤]،وفي رواية"ودعوا ما ينكرون"[٥٥]،والمعنى:حدثوا الناس ما يفهمون،واتركوا ما يشتبه عليهم فهمه[٥٦]؛لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه،ولا يتصور إمكانه:يعتقد استحالته جهلاً،فلا يصدق وجوده،فإذا أسند إلى الله ورسوله:يلزم تكذيبهما[٥٧]،وفي الحديث:دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة[٥٨]،كما يقول الصحابي الجليل،عبد الله بن مسعود،رضي الله عنه"ما أنت بمحدّثٍ قوماً حديثاً لا تبغله عقولُهم،إلاّ كان لبعضهم فتنة"[٥٩] .

ومن أدوات تحقيق:معرفة وإدراك معنى الوسطية التي أشاد به القرآن الكريم والسنة النبوية،في مجال التعليم والبناء المعرفي السليم:أن تكون المعلومات والحقائق والمعارف المقدمة للطلاب،والمستفيدين والمتلقين،بلغتهم وبلسانهم وهذا ما يؤكده قول الله سبحانه وتعالى{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٦٠]،والحكمة في هذا يوضحها قول الله{لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه،فلا يكون لهم حجة على الله،ولا يقولوا:لم نفهم ما خوطبنا به[٦١]،وهذا من لطفه تعالى بخلقه:أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفقهوا عنهم ما يريدون،وما أرسلوا به إليهم[٦٢] .

---

[٥٢]- المراد بها : أرباب السلوك والإرادة والتصوف .
[٥٣]- مدارج السالكين ، ج١ص٣٣٠-٣٣١ .
[٥٤]- البخاري: في العلم،باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا،ج١ ص٢٢٥ .
[٥٥]- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج١ ص٢٢٥ .
[٥٦]- ابن حجر :فتح الباري ، ج١ ص٢٢٥ .
[٥٧]- العيني : عمدة القاري ، ج٢ ص٢٠٥ .
[٥٨]- ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ص٢٢٩ .
[٥٩]- مسلم : في المقدمة ،باب النهي عن الحديث بكل ما سمع،،ج١ ص١١ .
[٦٠]- سورة : إبراهيم ،آية[٤] .
[٦١]- انظر، محمد جمال الدين القاسمي:محاسن التأويل،تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي،ط١٣٩٨هـ،دار الفكر، بيروت،ج١٠ص٦.
[٦٢]- انظر،القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ج٩ص٣٤٠،وابن عطية الأندلسي:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق/ المجلس العلمي بفاس، ط د.ت،ج١٠ ص٦١ .

ومما لا شك فيه:أن القدرات العقلية:تتعرض للحالات التي تتعرض لها القدرات الجسدية من العافية، والمرض،والموت،فهي تصح بالعلم الصحيح،والمعرفة الدقيقة،وبالعمل الصالح،وتمرض بالوهم والخرافة، والبدعة،والمعلومات الركيكة،والمعارف الضعيفة،وتموت بالجهل المطبق،وهذا ما يوجه الإسلام إليه فيما يتعلق بوظائف القلب،والعقل وظيفة من وظائفه،يتجلى هذا في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب))[٦٣]،أي:إذا صلح القلب بالمعارف الدقيقة والمعلومات السليمة ومحاسن الأحوال والأعمال: صلح الجسد كله بالطاعة والإذعان،وإذا فسد بالجهالات،ومساوي الأحوال والأعمال:فسد السد كله بالفسوق والعصيان[٦٤]، التي تفسد الفكر وتلوثه بالتطرف والغلو ، ذلك أن منهج الوسطية المفهوم من دلالاتها في القرآن الكريم:يتمثل في مراعاة كل ما يقدم للمستفيدين من المعارف والمعلومات السليمة المناسبة لهم،والمراعية لقدراتهم ولسنهم،واستعداداتهم الفكرية،بطريقة تحمل وتدفع إلى التفكير السليم وتشوق إلى كسب المعلومات والمعارف، وتثير الانتباه نحوها[٦٥]، وتساعد على تنمية القدرات العقلية، والملاحظة،والتخيل،والتصور ،والفهم،والابتكار ،واكتساب المهارات العقلية[٦٦]،ويعلل أحد الروّاد الأوائل العناية بالتربية العقلية على أساس منهج الوسطية في ضوء القرآن الكريم،والسنة النبوية،بقوله"العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم، والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لأنه غريزة في النفس،وقوة فيها،بمنزلة قوة البصر التي في العين،فإن اتصل به نور الإيمان:كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنهار"[٦٧]،فيكون منهج الوسطية المراد هنا:عدم تضخيم دور العقل على حساب النقل، وإنما يكون دوره فاعلاً إذا اقترن بالإيمان .

ثالثاً : الوسطية في المجال التعبدي :

من دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية:الوسطية المربية في المجال التعبدي،المتمثلة في الالتزام والاستقامة،كما جاء في منهج التربية السليمة،فلا تجاوز لما شرع،ولا إهمال،ولا تقصير[٦٨]،المشار إليه في قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}[٦٩]،وانطلاقاً من فهم هذه الدلالة في القرآن الكريم كان المربون وكل الرواد الأوائل:وسط بين

---

[٦٣]- البخاري : في الإيمان ، ج١٠ ص٥٢ .
[٦٤]- العز بن عبد السلام:قواعد الأحكام في مصالح الأنام،ط د.ت،دار الباز،مكة المكرمة،ج١ص١٦٧ .
[٦٥]- انظر،أحمد يوسف:أسس التربية وعلم النفس،ط د.ت،دار الكتاب العربي،بيروت،ص٦ .
[٦٦]- سيد مرسي أحمد،وكوثر حسين:تربية الطفل قبل المدرسة،ط د.ت،الدار العربية،عمّان،الأردن،ص٦٥ .
[٦٧]- ابن تيمية : مجموع الفتاوي ، ج٣ ص٣٩٩ .
[٦٨]- انظر،ابن الجوزي:زاد المسير،ج١ص١٣٤،ومحمد بن عبد الله القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ط١٣٩٦هـ،مطبعة الحلبي، القاهرة،ج١ص١٣٥-١٣٦،ومحمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير،ط د.ت،دار الكتب العلمية،بيروت،ج١ص٣٧٤ .
[٦٩]- سورة : فصلت ،آية[٣٠] .

المشتغلين بالعبادات القلبية فقط،والمشتغلين بالعبادات الظاهرة فحسب،في قيامهم بالعبادات الظاهرة والباطنة،حتى فيما يتعلق بتوجيه الأهل والأولاد لأداء الصلاة مثلاً:ينبغي التوسط في التوجيه وعدم استخدام أسلوب الشدة والقسوة،وهذا ما يفهم من قوله تعالى{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}[٧٠].

وفي هذا السياق يقول ابن القيم–يرحمه الله–:إن لله على العبد عبوديتين:عبودية باطنة،وعبودية ظاهرة،فله على قلبه عبودية،وعلى لسانه وجوارحه عبودية،فقيامه بصورة العبودية الظاهرة،مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه،ولا يوجد له الثواب وقبول عمله .

ولما رأى بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء(الفقهاء)انحرف عنها هو إلى أن صرف همته إلى عبودية القلب، وعطّل الجوارح،وقال"المقصود:قيام القلب بحقيقة الخدمة،والجوارح تبع،والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل،هؤلاء لا التفات لهم إلى عبودية جوارحهم،ففسدت عبودية قلوبهم،وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم،ففسدت عبودية جوارحهم،والمؤمنون العارفون بالله وبأمره:قاموا له بحقيقة العبودية ظاهراً وباطناً، وقدموا قلوبهم في الخدمة، وجعلوا الأعضاء تبعاً لها، فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود،وهذا هو حقيقة العبودية"[٧١] .

وفي سياق الفهم السليم لدلالة الوسطية في القرآن الكريم في المجال التعبدي،يوجه المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم،إلى عدم تجاوز المشروع من العبادات، وذلك عندما جاء ثلاثة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى بيت أم المؤمنين،عائشة رضي الله عنها،فسألوها عن عباداته،فلما أخبرتهم كأنهم تقالوها،فقال أحدهم:أصوم الدهر أبداً،وقال الآخر:وأنا أصلي الليل ولا أنام،وقال الثالث:وأنا لا أتزوج النساء، ولما أخبرت أم المؤمنين عائشة، رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما قالوه، خرج إلى المسجد،وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:((أما والله إني لأخشاكم لله،وأتقاكم له،لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد،وأتزوج النساء،فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٧٢] .

فيكون من المهم في ضوء فهم دلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية،فهماً سليماً في المجال التعبدي،أنه:لا يجوز الإضراب عن الطعام إلى درجة الهلاك،والحاق الأذى والضرر بحياة الإنسان؛ولذلك نهى الله عنه بقوله سبحانه وتعالى{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}[٧٣]،كما يقول تعالى{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[٧٤]،ويقول تعالى{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

---

[٧٠]- سورة : طه ، آية[١٣٢]

[٧١]- انظر،بدائع الفوائد،ط١٣٧٣هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة،ج٣ص٢٢٩-٢٣٠،وإغاثة اللهفان،ج١ص١٨٧ .

[٧٢]- محمد بن إسماعيل البخاري:الصحيح المسند الجامع،ط١٣٧٩هـ،دار المعرفة،بيروت،ج٩ ص٩٢ .

[٧٣]- سورة: البقرة ، آية[١٩٥]

[٧٤]- سورة : البقرة ، آية[١٨٥] .

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[٧٥]،ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الوصال في الصيام بين الليل والنهار[٧٦]، كما وجه إلى جواز الإفطار للمريض والحامل،والمرضع،والمسافر[٧٧]،وفي الميل الجنسي،حيث لا رهبانية في الإسلام،والزواج مطلوب فهو شطر الدين،ووسيلة لحماية الخلق من الانحراف،وعامل مهم من عوامل الزيادة والكثرة لأفراد الأمة الإسلامية،يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج،فإنه أغض للبصر،وأحصن للفرج،ومن لم يستطع فعليه بالصوم،فالصومُ له وجاء))[٧٨] .

وهكذا سائر الميول الفطرية ينبغي رعايتها،والعمل على إشباعها إشباعاً حلالاً من غير مأثم فلا كبت ولا انحراف،ولا ضياع،بل توجيه سليم لهذه الميول والحاجات،وإشباع لها بالوسائل والطرق المشروعة التي تصون الفرد والمجتمع وترتقي بهما معاً،روحياً بالعبادة على منهج الوسطية،وجسمياً بالغذاء وتلبية الحاجات وإشباعها حتى لا يقع الناس في المشقة والحرج .

ومن الممارسة التربوية السليمة لمفهوم الوسطية التي جاء بها القرآن الكريم،ووجه إليها في المجال التعبدي:مراعاة أحوال المأمومين في الصلاة انطلاقاً مما جاء في السنة النبوية،فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال:((إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف،والسقيم والكبير ،وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء))[٧٩] .

وليس هذا فحسب، بل لقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، غضباً شديداً، على معاذ بن جبل رضي الله عنه،بسبب إطالته الصلاة بالمأمومين،فعن أبي مسعود الأنصاري،رضي الله عنه الله عنه، قال:قال رجل يا رسول الله،لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان،فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم،في موعظة أشد غضباً من يومئذٍ،فقال:((أيها الناس إنكم منفرون،فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيهم المريض،والضعيف،وذا الحاجة))[٨٠]،وفي رواية:فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((يا معاذ أفتان أنت،أو أفاتن(ثلاث مرار)فلولا صليت بـ(سبح اسم ربك،والشمس وضحاها،والليل إذا يغشى)؛فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة))[٨١]،وعن أنس رضي الله عنه،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال:((إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها فأسمعُ بكاء الصبي،فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه))[٨٢] .

---

[٧٥]- سورة : آل عمران، آية[٩٧] .

[٧٦]- انظر،جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي:الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير،ط١٣٧٣هـ،دار الكتب العلمية،بيروت، ج٢ ص١٩٠ .

[٧٧]- انظر،أحمد عبد الرحمن سعد:حكمة التشريع الإسلامي،ط١٤١٣هـ،دار الهدى،عمان ،ص١٢١ .

[٧٨]- البخاري: الصحيح كتاب النكاح ، ج٩ ص٩٢ .

[٧٩]- البخاري : في الأذان،باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ،ج٢ ص١٩٩ .

[٨٠]- البخاري: في العلم،باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره،ج١ص١٨٦ .

[٨١]- البخاري:في الأذان ،باب من شكا إمامه إذا طول ،ج٢ ص٢٠٠ .

[٨٢]- البخاري : في الأذان، باب من أخفّ الصلاة عند بكاء الصبي، ج٢ ص٢٠١ .

ويعلق الإمام النووي–يرحمه الله–على حديث تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم،عند سماع بكاء الصبي،بقوله"وفيه دليل على الرفق بالمأمومين،وسائر الأتباع،ومراعاة مصلحتهم،وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم،وإن كان يسيراً من غير ضرورة"[٨٣] .

ومن هنا يمكن القول:أن الوسطية التي دلَّ عليها القرآن الكريم،هي:المنهج الذي استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك التطويل،والأخذ بالتخفيف خشية المشقة على أم الصبي،فهي في حالة صلاة وتعبد تحتاج إلى نوع من التركيز والخشوع ، وبكاء صبيها ينازعها في الخشوع والتركيز ،وهذا الحال يشق عليها كثيراً،وكانت الوسطية التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم،هي:العلاج والحل الملائم.

فالعبادة من منظور التربية الإسلامية:تشمل الحياة،ولا تقتصر على اللحظات القصيرة التي تشغلها مناسك الحج، والصيام، والصلاة، وسائر الشعائر التعبدية، يقول سبحانه وتعالى{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٨٤]،وإلا فما قيمة لحظات عابرة في صفحة النفس،وفي صفحة الكون،لا تكاد تترك لها أثراً،وتضيع في الفضاء .

وإنما قيمتها:أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة،قيمتها أن تكون خطة سلوك،وخطة عمل، وخطة فكر وشعور،قائمة كلها على منهج واضح،تبين فيه وفي كل لحظة ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون،ومردّ الأمور كلها في ذلك هو الله،هو المرجع الذي يرجع إليه في كل أمر[٨٥] .

رابعاً : الوسطية في مجال التربية الخلقية :

من دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية:الوسطية في مجال التربية الخلقية،فعند تفسير الإمام الطبري،لقوله تعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[٨٦]،يؤكد أن معنى الوسطية"الخيار ،والرفعة،والعدل، والتوازن،والخيرية"[٨٧] .

وفي ضوء فهم المربين الأوائل لدلالة الوسطية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية،كانوا وسطاً في باب التربية الخلقية والسلوكية بين طرفي الإفراط والتفريط،فدين الله بين الغالي فيه،والجافي عنه .

إن إيمان الروّاد الأوائل بجميع النصوص الثابتة في مسألة ما،قد أورثهم الخيرية والوسطية بين الفرق، وإلى هذا المعنى يشير ابن تيمية،بقوله "وكذلك أهل السنة في سائر أبواب السنة هم وسط؛لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما اتفق عليه السابقون

---

[٨٣]- شرح مسلم ، ج٤ ص١٨٧ .
[٨٤]- سورة : الذاريات ،آية[٥٦] .
[٨٥]- محمد علي المرصفي:مقدمة في أصول التربية ، ط١٤٠٩هـ،دار المجتمع ، جدة ، ص١١٤ .
[٨٦]- سورة البقرة ، آية[١٤٣] .
[٨٧]- جامع البيان في تفسير آي القرآن،ط١٣٩٨هـ،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة،ج٣ص١٤١،و١٤٣،وانظر،ابن كثير:تفسير القرآن العظيم،ج١ص٣٤٨،والسيوطي:الدر المنثور في التفسير بالمأثور،ط١٣٧٨هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة،ج١ص١٤٤ .

الأولون ، من المهاجرين والأنصار ،والذين اتبعوهم بإحسان"[٨٨]،وفي الإشارة إلى دلالة الوسطية في القرآن الكريم التي فهمها المربون الأوائل من هذه الأمة،يقول الإمام الشاطبي–يرحمه الله–"الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل،الأخذ من الطرفين بقسطٍ لا ميل فيه،الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة،ولا انحلال،بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال،فإذا كان التشريع لأجل انحراف المكلف،أو وجود مظنة انحراف عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان التشريع رادّاً إلى الوسط الأعدل ، لكن على وجهٍ يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه"[٨٩]، كما يقول أيضاً"فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط،فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف،فذلك في مقابلة واقع،أو متوقع في الطرف الأخر ،فطرف التشديد،وعامة ما يكون في التخويف،والترهيب،والزجر: يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين ، وطرف التخفيف، وعامة ما يكون في الترجية،والترغيب،والترخيص،يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد،فإذا لم يكن هذا،ولا ذاك:رأيت التوسط لائحاً ومسلك الاعتدال واضحاً،وهو الأصل الذي يرجع إليه وعلى هذا إذا رأيت في النقل من المعتبرين في الدين مَنْ مال عن التوسط،فاعلم:أن ذلك مراعاة منه لطرف واقع أو متوقع في الجهة الأخرى،وعليه يجري النظر في الورع والزهد،وأشباههما، وما قابلهما"[٩٠] .

فالسلوك المقبول من خلال فهم دلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية:أن يكون الميل عن التوسط إلاّ إذا ترجح أنه الأخير والأفضل، وهو التوسط المناسب لحال المكلف، وهذا ما يشير إليه ويؤكده العلماء والمربون الأوائل من قولهم "فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحراف عن الوسط إلى أحد الطرفين،كان التشريع رادّاً إلى الوسط الأعدل،لكن على وجهٍ يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه"[٩١]،ومن أمثلة الاعتدال في مجال التربية الخلقية ما يأتي :

أ – الوسطية في حماية المصالح العامة للأمة :

تتضح هذه الوسطية في توسط واعتدال المربين والرواد الأوائل من علماء المسلمين،في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،بين الوعيدية والمرجئة،فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة قد ينكرون المنكر؛ لكن بنوع التعدي والإفراط،فجوّزوا الخروج على أئمة الجور وقتالهم،مما يترتب عليه أنواع من الفساد والمنكرات أكثر مما أزالوه،وأمّا المرجئة فقد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظناً:أن ذلك من باب ترك الفتنة[٩٢]،وهذا حال كثير من المتدينين،يتركون ما يجب عليهم من

---

[٨٨]- مجموع الفتاوي ، ج٣ ص٣٧٥ .
[٨٩]- الموافقات : تعليق/عبد الله دراز،ط د.ت،دار المعرفة،بيروت ، ج٢ ص١٦٣ .
[٩٠]- الشاطبي : الموافقات ، ج٢ ص١٤٣ .
[٩١]- الموافقات ج٢ ص١٦٣ .
[٩٢]- انظر، ابن تيمية : مجموع الفتاوي ، ج٢٨ ص١٦٧ .

أمرٍ ،ونهي،وجهادٍ يكون به الدين كله لله،لئلا يفتنوا بجنس الشهوات،وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منه[٩٣]، فالرواد الأوائل يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر،في ضوء توجيه الشريعة ومراعاة المقاصد التي جاءت لحمايتها والحفاظ عليها .

ب – الوسطية في دفع المفاسد :

ومن أمثلة فهم المربين والرواد الأوائل لدلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية،وانعكاسه على السلوك:الوسطية في دفع أعظم المفاسد،باحتمال أيسرهما،وترك أيسر المصلحتين؛لتحصيل أعظمهما،رعاية لأحوال الناس[٩٤]، وذلك اعتماداً على قول الله تعالى{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[٩٥]،وقوله{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ}[٩٦]،وأيضاً استناداً إلى فهمهم الدقيق بأن السنة النبوية الشريفة هي الجانب التطبيقي لما جاء في القرآن الكريم، فقد جاء عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد،مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه،مه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزرموه،دعوه))،فتركوه حتى بال،ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم،دعاه،فقال له:((إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر،إنما هي لذكر الله عزوجل،والصلاة،وقراءة القرآن،قال:فأمر رجلان من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنه عليه))[٩٧].

يقول الحافظ ابن حجر–يرحمه الله–في التعليق على هذا الحديث"وإنما تركوه يبول في المسجد؛لأنه كان قد شرع في المفسدة،فلو منع لزادت إذ حصل تلويثُ جزءٍ من المسجد،فلو مُنع لدار بين أمرين: إما أن يقطعه فيتضرر ، وإمّا أن لا يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه ، أو مواضع أخرى من المسجد"[٩٨] .

وفي السياق نفسه يعلق الإمام العيني–يرحمه الله–على الحديث ، بقوله "فيه دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، فإن البول فيه مفسدة ، وقطعه على البائل مفسد أعظم منها،فدفع أعظمهما بأيسر المفسدتين،وتنزيه المسجد عنه مصلحة،وترك البائل

---

[٩٣]- انظر،ابن تيمية:المجموع،ج٧ص٥١٠،وأبا جعفر الطحاوي:العقيدة الطحاوية،ط د.ت،دار الفكر،دمشق،ج٢ص٤٥٩.

[٩٤]- انظر، أبا زكريا النووي : شرح مسلم،ط١٤٠١هـ،دار الفكر،بيروت ، ج٣ ص١٩٣ .

[٩٥]- سورة : البقرة،آية[١٨٥] .

[٩٦]- سور : المائدة ،آية[٦] .

[٩٧]- مسلم:في الطهارة،باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد،ج١ص٢٣٦-٢٣٧،والبخاري: في الوضوء ،ج١ص٣٢٢،والمراد بقوله:"مه، مه"اسكت،وبقوله((لا تزرموه)):لا تقطعوا،و((دعوه)):اتركوه،و"شنه":صبه، [النووي:شرح مسلم ، ج٣ ص١٩٣] .

[٩٨]- فتح الباري،بشرح صحيح البخاري،ط١٣٧٩هـ،دار المعرفة،بيروت ، ج١ ص٣٢٣ .

إلى الفراغ مصلحة أعظم منها، فحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما"[٩٩]،وفي مكان أخر يقول"فيه مراعاة التيسير على الجاهل،و التألف للقلوب"[١٠٠] .

ج – الوسطية في معالجة الأمور المتصلة بالجانب السياسي :

من مظاهر انعكاس فهم الرواد الأوائل لدلالة الوسطية في القرآن الكريم التي أشارت إليها آية البقرة ودلالة الوسطية في السنة النبوية:الوسطية في معالجة الأمور المتصلة بالجانب السياسي،مثل أخطاء ولي الأمر التي يلاحظها العلماء،مثل تأخير الصلاة عن وقتها،فيقول الله سبحانه وتعالى{إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً}[١٠١]، أي في وقت محدد ومعلوم لا يجوز تقديمها أو تأخيرها عنه إلا بعذر[١٠٢]،كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم،أن أحب الأعمال إلى الله تعالى((الصلاة على وقتها))[١٠٣]،ولكن مع هذا لم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم،للمسلمين:الخروج على الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها،فعن أبي ذرٍ،رضي الله عنه،قال:قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:((كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟، قال: قلت:فما تأمروني؟ قال: صلِّ الصلاة لوقتها،فإذا أدركتها معهم فصلِّ فإنها لك نافلة))[١٠٤]،وفي رواية"قيل يا رسول الله؟أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال:((لا،ما أقاموا فيكم الصلاة،وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله،ولا تنتزعوا يداً من طاعة))[١٠٥] .

قال الإمام البغوي–يرحمه الله– " وفي هذا الحديث دليل على أن الخروج على السلطان لا يجوز ما دام يقيم الصلاة؛لأنه لم يرخص في ذلك مع تأخيرهم الصلاة عن الوقت،وكيف يجوز على من يصليها في وقتها"[١٠٦]، ولم يكن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم ، من الأذن في الخروج على أولئك الأمراء إلا خشية ما يترتب عليه من فتنٍ واضطراب في المجتمع .

ويعلق الإمام النووي–يرحمه الله–على الحديث بقوله"لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرّد الظلم،أو الفسق،ما لم يُغيّروا شيئاً من قواعد الإسلام"[١٠٧] .

---

[٩٩]- عمدة القاري ،شرح صحيح البخاري،ط د.ت،دار الفكر،بيروت ، ج٣ ص١٢٧ .
[١٠٠]- عمدة القاري ،ج٣ ص١٢٨ .
[١٠١]- سورة : النساء ، آية [١٠٣] .
[١٠٢]- انظر، الطبري:جامع البيان،ج٤ص٥٤١،والقرطبي:الجامع لأحكام القرآن ،ج٢ ص١٥٤ .
[١٠٣]- مسلم: في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال،ج١ص٩٠، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.
[١٠٤]- مسلم:في المساجد ومواضع الصلاة،باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار وما يفعله المأمور إذا أخرها الإمام،ج١ ص٤٤٨ .
[١٠٥]- مسلم : في الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم ، ج٣ ص١٤٨١ .
[١٠٦]- شرح السنة ، ط١٤١٣هـالمكتب الإسلامي،دمشق،ج٢ ص٢٣٩ .
[١٠٧]- شرح مسلم ، ج١٢ ص٢٤٤-٢٤٥ .

ويقول الإمام ابن القيم–يرحمه الله–"فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه،وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك،والولاة بالخروج عليهم،فإنه أساس كل شيءٍ وفتنة إلى آخر الدهر،وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها،وقالوا:أفلا نقاتلهم؟فقال:((لا،ما أقاموا الصلاة،وقال:من رأى من أميره ما يكره فليصبر،ولا ينزعن يداً من طاعته))[١٠٨]،ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار،رآها من إضاعة هذا الأصل،وعدم الصّبر على منكر،فطلب إزالته: فتولّد منه ما هو أكبر منه"[١٠٩] .

خامساً: الوسطية في مجال التربية الجسمية :

من الأسس المهمة في مجال التربية الجسمية،من منطلق فهم المربين والرواد الأوائل لدلالة الوسطية في القرآن الكريم،والسنة النبوية:الاعتدال والتوسطٍ في تناول الطعام والشراب، فغاية الطعام والشراب في بناء الجسد والمحافظة عليه قوياً،سليماً،ينمو حسب الاستعدادات البيولوجية التي وهبها الله إيَّاه، وزوّده بها؛ ليقوم بمهامّه الدينية والدنيوية،من غير إفراطٍ ولا تفريط،يقول الله تعالى{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[١١٠]،فهذا الآية الكريمة تؤكد:أن من الصفات المذمومة:الإسراف والتبذير؛وذلك لكونهما ضارّين بالفرد والجماعة معاً،ولكونهما؛متجاوزين للوسطية التي دعا إليهما القرآن في مجال البناء النفسي والجسدي،كما أن الإسراف والتبذير:يؤديان إلى بعثرة الأموال بغير رشد فيما لا يفيد،والإنسان مأمور بالاقتصاد ، وحسن التدبر ، تحسباً لمفاجآت الزمان ووقت الحاجة[١١١] .

وفي المقابل نهى الإسلامُ عن تجاوز الوسطية إلى الإسراف،دعا إلى البعد عنه،حفظاً لمستقبل الفرد والجماعة،وصوناً للأموال التي يجب أن تنفق بحقها،وفي الأوجه التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع، وحفاظاً على صحة الجسم وسلامته من مخاطر التخمة[١١٢] ، يقول تعالى{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً}[١١٣]، وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن من السرف أن تأكل كُل ما اشتهيت))[١١٤]، ويقول أيضاً((ما ملأ أدمي وعاءاً شراً من بطنه،بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه،فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث

---

[١٠٨]- البخاري : في الفتن ، ج١٣ ص٢٣ .
[١٠٩]- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج٣ص١٥-١٦ .
[١١٠]- سورة : الأعراف ،آية[٣١] .
[١١١]- عبد القادر سلامة:منهج القرآن في بناء الإنسان،ط١٤١٦هـ،مطبعة الهدى ،عمّان،ص١١٣ .
[١١٢]- أحمد عبد الرحمن فاروق:أدب الإسلام وهديه،ط١٤١١هـ،دار الجيل الجديد،بيروت،ص١٨٥ .
[١١٣]- سورة : الإسراء ،آية [٢٧] .
[١١٤]- محمد بن يزيد(ابن ماجه):السنن،كتاب الأطعمة،باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت،ط د.ت،دار المعرفة،بيروت، ج٢ ص١١١٢ .

لشرابه، وثلث لنفسه))[١١٥]، فالذي يتناول الطعام بشراهة مخيفة،ودون مراعاة لخصائص الجهاز البشري الوظيفية،يكون قد جانب الوسطية التي وجه إليه القرآن الكريم ، في هذا المجال، وهنا يقال : إن البطن بيت الأدواء والآفات، فالوسطية في القرآن الكريم"العدل والتوازن"[١١٦] .

ومن خصائص التربية الإسلامية:الاعتدال والتوسط التي تعد أساس التوازن في الأمور كلها،وبهذه الخاصية التي دعا إليها القرآن الكريم،تحول دون الغلو أو الشطط في اتجاه على حساب آخر .

وتؤكد التربية الإسلامية التزام منهج الوسطية في مجال التربية الجسمية،وذلك من خلال:اتخاذ الأسلوب العادل الوسط الذي يحفظ لأمور الحياة البشرية توازنها،وانسجامها،فلا حيوانية مسرفة،ولا رهبانية مطلقة،ولا غلبة لقوى الروح على مطالب الجسد،أو العكس،ولا صراع بين الدين والدنيا،بل نظرة عادلة متكاملة للطبيعة الإنسانية ،كما خلقها الله تعالى، تكفل لها هداية الإيمان، ونضج العقل ، واتزان الوجدان ، ونمو البدن ، وتضمن لها إشباعاً سوياً متزناً لمختلف الدوافع والحاجات الفطرية، والمكتسبة[١١٧]،في ضوء فهم دلالة قول الله تعالى{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[١١٨] .

يقول الإمام ابن كثير –يرحمه الله–عند تفسير قول الله تعالى{وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ}قال بعض السلف"جمع اللهُ الطب كله في نصف آية{وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ}وقال البخاري:قال ابن عباس:كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطاتك خصلتان:سرف ومخيلة"،وبإسناده الصحيح إلى ابن عباس،قال:أَحَلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة"[١١٩]،وأورد أحاديث كثيرة في هذا المجال،ومنها:قوله صلى الله عليه وسلم((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة،ولا سرف،فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده))[١٢٠]،وفي رواية((كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسرافٍ ولا مخيلة))[١٢١] .

كما نقل آراء بعض الرواد الأوائل بقوله : قال السدي : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم ، وقال الله لهم{وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ}يقول : لا تسرفوا في التحريم،وقال مجاهد:أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله،وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:{وَلاَ تُسْرِفُواْ} يقول:ولا تأكلوا حراماً ذلك الإسراف،وقال عطاء الخراساني:عن ابن عباس"وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"في الطعام والشراب،وقال ابن جرير"إن الله لا يحب المعتدين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل بإحلال الحرام،أو بتحريم الحلال،ولكنه يجب أن يحلل ما أحل،ويحرم ما حرم،وذلك العدل

---

[١١٥]- الترمذي:في الزهد،باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ،ج٤ ص٣٥٨ .
[١١٦]- الطبري:جامع البيان،ج٣ ص١٤٣، والسيوطي:الدر المنثور،ج١ ص١٤٤،وابن كثير،ج١ ص٣٤٨ .
[١١٧]- عبد القادر سلامة : منهج القرآن في بناء الإنسان ، ص١٢٩ .
[١١٨]- سورة : القصص ، آية [٧٧] .
[١١٩]- تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ص٢٣٩ .
[١٢٠]- أحمد بن حنبل : المسند ،ج٢ ص١٨١ .
[١٢١]- أحمد : المسند ، ج٢ ص١٨٢ .

الذي أمر به"[١٢٢]،وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم،في مجال:تفعيل منهج الوسطية في مجال التربية الجسمية((ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته،ولا آخرته لدنياه،حتى يصيب منهما جميعاً،فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة))[١٢٣]،ويقول سبحانه وتعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[١٢٤]، ولذلك كان الرواد الأوائل من السلف الصالح من الذين فهموا دلالة الوسطية في القرآن الكريم،والسنة النبوية،وسط بين المترفين المنعمين،فما أسرفوا على أنفسهم،فأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات،وبين المترهبين الذين وقعوا في البدع والغلو والتشدد،فحرموا ما أحل الله من الطيبات .

لأن الله نهى:عن تحريم ما أحل من الطيبات،وعن الاعتداء في تناولها،وهو:مجاوزة الحد،وقد فسر الاعتداء في الزهد،والعبادة،بان يحرموا الحلال،ويفعلوا من العبادة ما يضرهم،فكانوا قد تجاوزا الحد وأسرفوا،وقيل:لا يحملنكم أكل الطيبات على الإسراف،وتناول الحرام من أموال الناس[١٢٥] .

ويقول أحد الرواد الأوائل"التوسط يُعرف بالشرع،وقد يعرف بالعوائد،وما يشهد به معظم العقلاء كما في الإسراف والإقتار في النفقات"[١٢٦] .

وعلى هذا الأساس:كان منهج الرواد الأوائل من سلف هذه الأمة : التوسط في المجال النفسي أو الجسدي،وكل ما يتصل به من الإنفاق،وغيره:منهج التوسط والاعتدال؛الذي هو منهج القرآن الكريم الذي جاء فيه وصف أصحاب هذا المنهج في هذا المجال،في قوله سبحانه وتعالى{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}إلى قوله{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}[١٢٧]،فالقوام:هو التوسط في الإنفاق،يقول الإمام ابن كثير–يرحمه الله–أي"ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة،ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم،فلا يكفونهم،بل عدلاً خياراً،وخير الأمور أوسطها،لا هذا ولا هذا[١٢٨]،ومن توجيهات القرآن الكريم بالتزام الوسطية في مجال البناء الجسدي يقول سبحانه وتعالى {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً}[١٢٩] .

وما يبرز أهمية فهم دلالات الوسطية في مجال التربية الجسمية:أن الجسم وعاء لذات الإنسان،وبقدر صلاحه تكون سلامة محتوياته،كما أن صلاح البدن سبب أساسي من أسباب صلاح

---

[١٢٢]- تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ص٢٣٩ .
[١٢٣]- السيوطي : الجامع الصغير ، ج٢ ص١٣٥ .
[١٢٤]- سورة : المائدة ، آية[٨٧] .
[١٢٥]- انظر، ابن تيمية : مجموع الفتاوي،ج١٤ ص٤٥٧-٤٦٠ ، وج١٠ ص٦٢٣ .
[١٢٦]- الموافقات ، ج٢ ص١٤٠-١٤١ .
[١٢٧]- سورة : الفرقان ،آية[٦٣-٦٧] .
[١٢٨]- تفسير القرآن العظيم ، ج٦ ص٢٢ .
[١٢٩]- سورة : الإسراء ، آية[٢٩] .

الدين،ولذلك اهتمت التربية الإسلامية اهتماماً بالغاً بإشباع حاجات الجسم،والوفاء بمتطلباته،في إطارٍ من التوازن والاعتدال،إنطلاقاً:من أن علاقة الإنسان بالحاجات المادية الجسمية علاقة صحيحة ، وحب الإنسان لإشباع هذه الحاجات مركوز في جبلته التي فطره الله عليها[١٣٠] .

وبهذه النظرية والمنهجية العادلة الوسط:تحفظ التربية الإسلامية للشخصية الإنسانية:توازنها وانسجامها، وتكاملها،فلا مادية مسرفة،ولا غلبة لمطالب البدن على شواغل الروح،ولا تغليب لقوى الروح على الدوافع الفطرية الطبيعية،ولا تناقض بين العقل والعاطفة،يرفع من شأن أحدهما على حساب الآخر،ولا صراع بين مقتضيات الدين،ومتطلبات الدنيا،بل اعتدال وتوسط،خالٍ من الإهمال والإسراف،يضمن للشخصية الإنسانية:الإشباع السوي المشروع دينياً،وخلقياً،واجتماعياً،ويكفل لأمور الحياة البشرية توازنها وانسجامها .

وخلاصة القول:أن عامة من ضل في باب الاعتقاد كان بسبب الإعراض عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم،فكذلك الضلال في باب السلوك،إنما كان ناشئاً في الجملة بسبب الإعراض عن القرآن الكريم،وعن السنة النبوية الشريفة[١٣١]؛لأن المنهج الذي جاء به هو:الوسطية والاعتدال في كل المجالات والميادين،ومنها:الجانب الخلقي،يقول سبحانه وتعالى{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}[١٣٢]، والتزام الوسطية التي دلت عليه آية البقرة ، صورة مهمة من صور التزام هدي الله سبحانه وتعالى الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو:أن التربية في الإسلام هي: الإجراء العملي والتطبيقي؛ لتحقيق ذلك اللقاء الحي بين عالم المثاليات وعالم الواقع الاجتماعي للحياة البشرية[١٣٣] ، وليست الأخلاق في التربية الإسلامية في ضوء فهم الرواد الأوائل للوسطية في القرآن الكريم، ليست عدداً من الفضائل المبعثرة كلاً على حدة، كالصدق، والأمانة، والعفة، و...إنما هي نظام متكامل شامل، نظام يوجه ويضبط كل النشاط الإنساني في شتى جوانب الحياة، وكل نشاط خيرّ بنّاءٍ هادف هو:نشاط أخلاقي، والنية عنصر أصيل في تقويم كل نشاط"[١٣٤] .

---

[١٣٠]- انظر ، علي القاضي :منهج التربية الإسلامية،ط د.ت،دار الفكر،بيروت ،ص٥٩ .

[١٣١]- انظر، ابن تيمية:المجموع، ج٣ص٣١٤، ودرء تعارض العقل والنقل، ط١٤١٣هـ، دار الفكر،دمشق، ج١ص٥٤، و١٦٦، و٢٠٩، والاستقامة، ط١٤٠٣هـ، جامعة الإمام، الرياض، ج٢ص٨١، و٥٩٥، وإبراهيم بن إسحاق الشاطبي: الاعتصام، تحقيق/ سليم الهلالي، ط١٤١٢هـ،دار ابن عفان الخبر،ج١ص١٣٢-١٩٩، ومدارج السالكين، ج٢ص٤٦٤-٤٦٨ .

[١٣٢]- سورة : طه ،آية[١٢٣] .

[١٣٣]- انظر،محمود السيد محمد سلطان:أسس التربية الإسلامية- بحث في"ندوة الخبراء التربويين"مكة المكرمة،من١١إلى ١٦-، ١٤٠٠هـ،مركز البحوث التربوية والنفسية،جامعة الملك عبد العزيز،فرع مكة المكرمة ، ص١٤٠١ .

[١٣٤]- سيد قطب:مقومات التصور الإسلامي ،ط د.ت،دار الشروق،بيروت ، ص٢٨٩ .

وقد عني المربون الأوائل من المسلمين بالتزام منهج الوسطية والاعتدال:في"بث الأخلاق الكريمة، وغرس الفضائل في نفوس المتعلمين، وتعويدهم التمسك بالفضيلة وتجنب الرذيلة"[١٣٥]، ومن الفضائل الخلقية التي تدفع إليها التربية الإسلامية:محبة الآخر،ينبغي أن تكون على منهج الوسطية والاعتدال، وهذا ما يؤكده المربي الكريم صلى الله عليه وسلم،بقوله((أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما،وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما))[١٣٦] .

الخاتمة :

وتشتمل على :

أولاً : النـتـائج :

من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يلي :

١- أن الفهم السليم لدلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية،يساعد في حسن ممارستها ممارسة تربوية دقيقة .

٢- أن من أبرز الممارسات التربوية لفهم دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية في مجال التربية الروحية.

٣- أن حسن فهم الدلالة الوسطية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية يساهم في حسن ممارستها في مجال التعليم والبناء المعرفي المعلوماتي .

٤- من دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية حسن ممارستها في المجال التعبدي .

٥- أهمية العناية الدقيقة بالممارسة التربوية لدلالات الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية في مجال التربية الخلقية والسلوكية .

٦- من مظاهر فهم الدلالة الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية:دقة الممارسة التربوية لها في التربية الجسمية والنفسية .

ثانيا : التوصيات :

في ضوء نتائج الدراسة،يوصي الباحث بما يلي :

١- العناية بفهم المتعلم لكل مفردات المنهج المدرسي،وفهم دلالاتها فهماً دقيقاً وسليماً،يساعد على تحويلها إلى سلوك وواقع .

---

[١٣٥]- محمد عطية الأبراشي:التربية الإسلامية وفلاسفتها،ط١٩٧٦م،مطبعة الحلبي،القاهرة،ص٣٠ .

[١٣٦]- رواه الترمذي،والبيهقي عن أبي هريرة،والطبراني،والدار قطني،وابن عدي،والبخاري في التاريخ،عن علي موقوفاً،بإسناد حسن،[السيوطي:الجامع الصغير ، ج١ ص١١] .

٢- عناية المعلم المربي،وكل الدعاة"بإيضاح دلالات العقيد الإسلامية الوسطية .

٣- التركيز عند وضع المناهج الدراسية على المعلومات المتدرجة من السهل إلى الصعب .

٤- العناية الدقيقة بالمفاهيم الصحيحة والسليمة لكل أنواع العبادة؛حتى لا يحصبل التنطع والغلو والتطرف،أو التساهل والتقصير .

٥- توفير القدوة الحسنة في المعلم في كل المراحل التعليمية والجامعية،في ممارسة الأخلاق وحسن تطبيقها .

٦- توعية المتعلمين وكل أفراد المجتمع:بأهمية مراعاة حاجات الجسم وتلبيتها،من غير إسراف ولا تقتير .

ثالثاً : المقترحات :

١- دراسة علمية حول الوسطية في المجال الاجتماعي .

٢- دراسة علمية حول الوسطية في المجال الاقتصادي .

٣- دراسة علمية حول الوسطية في المعالجة الأسرية .

٤- دراسة علمية حول الوسطية في حماية الأداب العامة .

٥- دراسة علمية حول الوسطية في ممارسة الثواب والعقاب .

٦- دراسة علمية حول الوسطية في النقد البناء.

المصادر والمراجع :

أ – القرآن الكريم

ب – المصادر والمراجع الأخرى :

١- إبراهيم بن إسحاق الشاطبي:الاعتصام،تحقيق/ سليم الهلالي،ط١٤١٢هـ،دار ابن عفان الخير.

٢- إبراهيم بن إسحاق الشاطبي:الموافقات ، تعليق/عبد الله دراز ،ط د.ت،دار المعرفة،بيروت .

٣- ابن عطية الأندلسي:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق/المجلس العلمي بفاس،ط د.ت

٤- أبو جعفر الطحاوي:العقيدة الطحاوية،ط د.ت،دار الفكر،دمشق .

٥- أبو زكريا النووي : شرح مسلم،ط١٤٠١هـ،دار الفكر،بيروت .

٦- أحمد بن الحسين البيهقي:السنن الكبرى، ط د.ت،مطبعة الحلبي ، القاهرة .

٧- أحمد بن حنبل : المسند،ط١٣٩٨هـ،دار الفكر،دمشق .

٨- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : درء تعارض العقل والنقل،ط١٤١٣هـ،دار الفكر،دمشق .

٩- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية :الاستقامة،ط١٤٠٣هـ،جامعة الإمام،الرياض .
١٠- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية:مجموع الفتاوي،ط د.ت،دار الإفتاء،الرياض .
١١- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:فتح الباري،بشرح صحيح البخاري،ط١٣٧٩هـ،دار المعرفة،بيروت .
١٢- أحمد عبد الرحمن سعد:حكمة التشريع الإسلامي،ط١٤١٣هـ،دار الهدى،عمان .
١٣- أحمد عبد الرحمن فاروق:أدب الإسلام وهديه،ط١٤١١هـ،دار الجيل الجديد،بيروت .
١٤- أحمد يوسف:أسس التربية وعلم النفس،ط د.ت،دار الكتاب العربي،بيروت .
١٥- جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي:الإتقان في علوم القرآن،ط د.ت،دار الكتب العلمية، بيروت .
١٦- عبد القادر عوّاد:آداب الاختلاف في الإسلام،ط١٤١٣هـ،دار الجيل،بيروت .
١٧- جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي:الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير،ط١٣٧٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
١٨- جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي:الدر المنثور في التفسير بالمأثور،ط١٣٧٨هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة .
١٩- الحسين بن مسعود البغوي: شرح السنة ، ط١٤١٣هالمكتب الإسلامي،دمشق .
٢٠- الحسين بن مسعود البغوي:معالم التزيل،ط١٣٨٢هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة .
٢١- سليمان بن الأشعث السجستاني(أبو داود):السنن،ط١٣٩٥هـ،دار الحديث،دمشق .
٢٢- سيد قطب:مقومات التصور الإسلامي ،ط د.ت،دار الشروق،بيروت .
٢٣- سيد مرسي أحمد،وكوثر حسين:تربية الطفل قبل المدرسة،ط د.ت،الدار العربية،عمّان، الأردن .
٢٤- عبد الرحمن ابن الجوزي:تلبيس إبليس،ط١٣٨١هـ،دار العلم،بيروت .
٢٥- عبد الرحمن ابن الجوزي:زاد المسير في علم التفسير،ط١٣٩٦هـ،دار الفكر العربي،القاهرة.
٢٦- عبد الرحمن صالح عبد الله،وحلمي فودة:المرشد في كتابة البحوث التربوية،ط١٤٠٨هـ، مكتبة المنار،مكة المكرمة .
٢٧- عبد الرحمن نحلاوي:التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة،ط د.ت،المكتب الإسلامي، بيروت .
٢٨- عبد القادر سلامة:منهج القرآن في بناء الإنسان،ط١٤١٦هـ،مطبعة الهدى ،عمّان .
٢٩- عبد المنعم المليجي:تطور الشعور الديني عند الطفل،ط١٩٥٥م،دار المعارف،القاهرة .

٣٠- العز بن عبد السلام:قواعد الأحكام في مصالح الأنام،ط د.ت،دار الباز،مكة المكرمة .
٣١- علي القاضي :منهج التربية الإسلامية،ط د.ت،دار الفكر،بيروت .
٣٢- علي بن محمد الجرجاني:التعريفات،تحقيق/إبراهيم الأبياري،ط١٤١٣هـ،دار الكتاب العربي، بيروت .
٣٣- علي بن محمد المتقي:كنوز العمال،في سنن الأقوال والأفعال،ط د.ت،مطبعة دائرة المعارف العثمانية،القاهرة .
٣٤- فتحي علي إبراهيم يونس:التربية الإسلامية،دار الكتاب العربي،بيروت .
٣٥- محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير،ط د.ت،دار الكتب العلمية،بيروت .
٣٦- محمد أمين المصري:لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها،ط١٩٧٨م،دار الفكر،القاهرة.
٣٧- محمد بن أبي بكر بن القيم : بدائع الفوائد،ط١٣٧٣هـ،مطبعة الحلبي،القاهرة .
٣٨- محمد بن أبي بكر بن القيم :إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان،ط١٣٥٣هـ،مطبعة الحلبي، القاهرة .
٣٩- محمد بن أبي بكر بن القيم:مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين،ط د.ت،دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٠- محمد بن إسماعيل البخاري:الصحيح المسند الجامع،ط١٣٧٩هـ،دار المعرفة،بيروت .
٤١- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير آي القرآن، ط١٣٩٨هـ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة .
٤٢- محمد بن عبد الله الدارمي: السنن،ط د.ت، دار المعرفة ، بيروت .
٤٣- محمد بن عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،ط١٣٩٦هـ، مطبعة الحلبي، القاهرة .
٤٤- محمد بن عيسى الترمذي: السنن،ط١٤٠٥هـ، دار الريان، بيروت.
٤٥- محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب،ط د.ت، دار صادر، بيروت.
٤٦- محمد بن يزيد(ابن ماجه): السنن ،ط د.ت،دار المعرفة، بيروت.
٤٧- محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل،تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، ط١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت.
٤٨- محمد عابد عاشور: منهج القرآن في التربية،ط١٤١١هـ،دار الفكر، بيروت.
٤٩- محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها،ط١٩٧٦م، مطبعة الحلبي، القاهرة .
٥٠- محمد علي المرصفي: مقدمة في أصول التربية ، ط١٤٠٩هـ، دار المجتمع ، جدة .

٥١- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط د.ت، دار الشروق، القاهرة .
٥٢- محمود السيد محمد سلطان: أسس التربية الإسلامية- بحث في" ندوة الخبراء التربويين" مكة المكرمة،من١١إلى ١٦-، ١٤٠٠هـ،مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة .
٥٣- محمود العيني : عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، ط د. ت، دار الفكر، بيروت .
٥٤- مسلم بن الحجاج القشيري: الصحيح، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط١٣٧٥هـ، دار المعرفة، بيروت .
٥٥- ملآ علي القاري: مرقاة المفاتيح،شرح مشكاة المصابيح، تحقيق/ صدقي العطار، ط د. ت، المكتبة التجارية، مكة المكرمة .